

النقد المعرفي والتشكيل الإدراكي للغة

Cognitive criticism and the perceptual formation of language

د- محمد عروس^{1*}، رانية قدري²¹ جامعة العربي التبسي، (الجزائر)، الايميل: arousmohammed@gmail.com² جامعة العربي التبسي، (الجزائر)، الايميل: rania.guedri@univ-tebessa.dz

تاريخ النشر: 2021/12/30

تاريخ المراجعة: 2021/10/20

تاريخ الإيداع: 2021/05/03

ملخص:

تسعى هذه الدراسة إلى الكشف عن التحول الذي أحدثته الثورة الإدراكية في عملية اشتغال المعارف من منظور اللغة، وكذا التعرف على النقد المعرفي الذي جسد حضورا قويا في سيرورة اشتغاله النقدي، أولا في شموليته للمعارف، وثانيا في تغييره لمسار اللغة من الشعري إلى المعرفي. وتهدف إلى الإجابة عن الإشكالية الآتية: كيف تجسد التشكيل الإدراكي للغة في النقد المعرفي؟ وما أهمية هذا الاشتغال؟ وكيف تحول مسار اللغة مع الثورة الإدراكية؟ معتمدين في ذلك المنهج الوصفي باستخدام التحليل والتركيب كآليات إجرائية تمكنا من وصف القضايا المطروحة ومعالجتها. الكلمات المفتاحية: النقد المعرفي، اللغة، اللسانيات المعرفية، الاستعارة المعرفية.

Abstract:

This study seeks to uncover the transformation brought about by the perceptual revolution in the process of knowledge functioning from the perspective of language, as well as to identify the cognitive criticism that embodied a strong presence in the process of its critical work, first in its comprehensiveness of knowledge, and secondly in its change of the course of language from poetic to epistemic.

It aims to answer the following problem: How do you embody the perceptual formation of language in cognitive criticism? What is the significance of this work? And how did the course of language change with the cognitive revolution? They adopted the descriptive approach using analysis and synthesis as procedural mechanisms that enable us to describe and address the issues raised.

Keywords:

Cognitive criticism, The language, Cognitive Linguistics, The cognitive metaphor

*المؤلف المراسل

تقديم:

اتخذت اللغة مسارات مختلفة مع شتى العلوم والفنون، فتعددت وظائفها وأصبحت لها منظومة خاصة للتعامل مع كل علم تكون هي أدواته، فضلا عن كونها أداة للتواصل-وعاء للفكر، وميكانيزم واعٍ لكل تعبير واشتغال معرفي وثقافي، وهي نشاط إنساني عقلي يترك بصماته في كل معرفة.

ومع التطورات الأخيرة، ومع الثورة الإدراكية، كان للغة اتجاه معرفي خاص تميزت به من الاتجاهات السابقة، فاللغة اتخذت مسارات عقلية، تحولت بموجها المعارف إلى مدارات إدراكية، مع النقد المعرفي، واللسانيات، والاستعارة، والبلاغة. وأصبحت المقاربات اللغوية والنقدية تتخذ من اللغة المعرفية وسيلة وأداة لاستيعاب كل نصوص الظواهر الأدبية.

وعليه نطرح الإشكالية التالية: كيف تجسد التشكيل الإدراكي للغة في النقد المعرفي؟ وما أهمية هذا الاشتغال؟ وكيف تحول مسار اللغة مع الثورة الإدراكية؟ وكيف يمكن للنقد المعرفي أن يستثمر اللغة في مقارنته النصية؟

إن الحديث عن اللغة في العلوم المعاصرة، وبالتحديد في العلوم الإدراكية، هو حديث عن خصائص علمية عقلية، تعمل على خلق براديجماتولوجي موحد تلتقي فيه التخصصات العلمية، وتتقاطع فيه المعارف، وتتلاقى ضمن أسلوب بحث موحد. وهذا الأسلوب في المنحى الإدراكي هو البعد المعرفي؛ فمع اللسانيات، والبلاغة، والاستعارة، والنقد أخذت اللغة اتجاهات وطرق وأساليب متعددة في كيفية البحث عن العملية التواصلية والإبلاغية، كل حسب طبيعة العلم الذي ينتهي إليه، وتشاركت في هدف أساس وهو الجانب العقلي للوصول إلى المعرفي، فأصبحت هناك نماذج تعمل على صياغة وظائف مقننة للغة كما تجري في الدماغ والذهن البشري، وتعددت بذلك الممارسات النظرية والتطبيقية، فكان لزاما على اللغة الانتقال بها من الدرس اللغوي التواصلية الإبلاغي إلى الدرس اللغوي المعرفي.

لقد بات عصر العولمة بالنسبة إلى اللغة عصرا للتحويل والتطور ومواكبة المستجدات المعرفية، وغدت المعارف تستثمر اللغة لوظائف عقلية مختلفة، أولا «تتعلق بالتمثيل الذهني والحوسبة المعرفية، وثانيتها يتمثل في مسألة الذهن، بوصفها ملكة معرفية مسؤولة عن إسناد المعتقدات والمقاصد والتمثيلات إلى الآخرين ومنحهم حياة ذهنية»¹، فالتساؤلات الخاصة بمسألة امتلاك اللغة كأداة إبلاغية، تصنع أنساقا تواصلية معرفية، نجدها في إطار علوم بحثية معرفية، ظهرت في العقد الأخير، وقامت ببلورتها الثورة الإدراكية، وغدت منجزا معرفيا قائما بذاته. من بين هذه العلوم والمعارف نذكر: اللسانيات المعرفية، والاستعارة المعرفية، والبلاغة المعرفية، وعلم الدلالة المعرفي، والنص الشعري الإدراكي، والنقد المعرفي، إلى غيرها من الإدراكيات التي غيرت مسار ومنعطفات وتحولات اللغة ووظيفتها.

ويقصد بـ "العلوم الإدراكية" تلك التخصصات التي تتعلق «بمختلف جوانب النشاط الحسي والفكري، التي بواسطتها يتعرف الإنسان على العالم من حوله، وتدرج فيها بيولوجيا الأعصاب، وعلم النفس، والذكاء الاصطناعي، ونظرية الاتصال وفلسفة العقل»². وفيما يتعلق بنشاطها؛ فالعلوم المعرفية تبحث في

«الاستراتيجيات التي يعتمد عليها الذهن البشري وهو يمارس وظيفته المعرفية، بمعنى البحث في علاقة الذهن بالمعرفة في الحقل المعرفية المتنوعة التي تنتهي إليها»³، وعلى ذلك فقد آثرنا البحث عن طبيعة التحولات الإجرائية للغة ضمن هذه العلوم المعرفية، للتعرف على كيفية تعالق النقد المعرفي مع مجالين اثنين للاشتغال اللغوي سنخصصهما بالدراسة وهما: اللسانيات المعرفية والاستعارة المعرفية.

أولاً: النقد المعرفي والاشتغال اللغوي:

الحديث عن النقد المعرفي هو حديث عن منجز نقدي معاصر في ميدان العلوم الإنسانية وفي عالم الإدراكيات تحديداً، وإن البحث في عملية اشتغال اللغة من منظوره يعد مبحثاً مهماً من مباحث الدرس اللغوي في منظومة النقد المعرفي، وإن الإسهامات القليلة⁴ بخصوص هذا الحقل يجعله ميداناً خصباً للدراسة، لذلك سنشير إلى المفهوم العام للنقد المعرفي ومن ثم المفهوم الإجرائي له، حتى نتبين سيرورة تحول اللغة على وفق هذا المسار.

1- في التحديد المفهومي للنقد المعرفي:

إن النقد المعرفي هو عملية استثمار لمعارف إدراكية، وعلوم ونظريات وحقول معرفية مختلفة، وهو «تلك العملية العقلية المستوحاة مفاهيمها من فروع علوم النفس، والاجتماع المعرفي، ونظرية المعرفة، والمنطق، والرياضيات، واللسانيات، والسيمانيات، ونظرية التلقي، وفلسفة الذهن وعلوم العصر، والتي يتم عن طريقها التعرف على الموضوع المدرك لفهم التشكيل المعرفي المتجلي في النص الإبداعي من قبل الذات العارفة للوصول لحقيقة الشيء أو المحكي المحرر من كل عرضية ظرفية أو واقعية»⁵. كما أنه «يقوم على تفسير تجربة الوعي في ضوء علاقته بالانتباه والذاكرة والخبرات والمعتقدات، والمشاعر المرتبطة بوجودنا المادي في الأساس، وهذا ما يعرف في الدراسات المعرفية الحديثة بعلاقة العقل مع الجسد»⁶. ومن خلال هذين التعريفين يتبين أن النقد المعرفي يتأسس على العلوم الإدراكية ويستلهم مبادئه من البلاغة وصولاً إلى اللسانيات المعرفية. ومن باب آخر، فإن فعل الشمولية هو ركيزته الأساسية في تحليل النصوص. وعليه نتساءل عن جدلية عمل اللغة من منظور النقد المعرفي. فكيف كان تحولها البراغماتي؟ وكيف استجابت لمعطيات النقد المعرفي؟

2- النقد المعرفي وجدلية اشتغال اللغة

يقيم النقد المعرفي علاقة جدلية بين ثنائية اللغة في كونها شعرية أم معرفية، ويؤسس لقاسم لغوي يحيل على شكل التملص من الطبيعة المألوفة إلى الطبيعة الشعرية، ومن ثم إلى الطبيعة المعرفية، ويرتقي بمستوى أشكال اللغة إلى أبنية مفهومية تؤدي فيها أدواراً على وفق كل تناغم يجسده كل علم أو معرفة. وضمن الحديث عن النقد المعرفي في علاقته باللغة، فالنظرية الإدراكية هي من ستفتح لعلاقات حوارية بين ما تم إنتاجه، وبين ما سيتم التأسيس له، فالعودة إلى المعارف الإدراكية مع "مارك ترنر" و "لايكوف" و "مارك جونسون" هو من سيخلق نظرية المزج، ويبعد كل دوائر الاستفهام عن اشتغالية اللغة ضمن منظور النقد المعرفي.

نقول ما دام النقد المعرفي يتأسس على المعارف الإدراكية، فإن عمل اللغة في اللسانيات المعرفية، والاستعارة المعرفية، والبلاغة المعرفية، سيجتمع في النقد المعرفي كاستراتيجية، تعمل على خلق التناغم والتوافق، بما يخدم غرضية الظاهرة الإبداعية على وفق منطق إدراكي. «فالدراية المعرفية في الفن والأدب واللغة لديها ركيزتان: واحدة في البلاغة الكلاسيكية، والأخرى في علم الأعصاب المعرفي؛ الدراسة الحديثة للمخ والعقل»⁷، وهذه الميزة تدعى بنظرية المزج والتي أثارت جدلاً كبيراً في الميدان الإدراكي، فالمزج المفاهيمي معمول به من «خلال التفكير اليومي في اللغة والأفعال اليومية إذ يبرز بشكل كامل من دراسة التعبيرات الأدبية واللغوية الابتكارية»⁸، فاللغة من منطلق نظرية المزج، مزج المعارف الإدراكية في منظومة اشتغالية قارة إنما تتأتى من قوالب التعبيرات الأدبية، على اعتبار أن التعبيرات إنما تنم على ميكانيزمات التفكير البشري، ومن ثم تعمل اللغة على وفق منطق ذهني يكشف عن هذا التعبير، ويستعين بمجملات تلك المعارف والحقول المختلفة. وقد يما قيل: تكلم لأراك، والمرء مخبوء تحت لسانه فإذا تكلم ظهر، واليوم يمكن القول: تكلم لأعرفك.

إن حضور اللغة في النقد المعرفي ليس كحضورها في أي مجال معرفي آخر، فالتكيف الذي تحدته هذه الأخيرة في تلاؤمها مع نظرية المزج، وخضوعها لمنطق الذهن وعمل العقل، شكل لها ميزة فارقة في العلوم الإنسانية، ووسع من مداركات الدراسة التحليلية للظاهرة الأدبية، وخلق نهجاً جديداً للنقد المعرفي يتم على إثره مقارنة كل النصوص على حد سواء، فالاستيعاب المنهجي للسانيات، والبلاغة والاستعارة، ومختلف النظريات المنبثقة من هذه المفاهيم ذات البعد الإدراكي، كنظرية الأطر⁹ ونظرية المزج، وغيرها هي من خلقت مجالات اشتغالية للنقد المعرفي.

وهذه النظريات مرتبطة في الأصل باللسانيات المعرفية في «بحثها المعرفي المركز على اللغة اليومية، وطورها اللسانيون أنفسهم لتشمل اللغة الأدبية استناداً إلى المبدأ المعرفي»¹⁰. وهنا نقول إن اللغة شكلت رؤية جديدة مع النقد المعرفي، رؤية زاوجت فيها بين الأدبية والمعرفية، وحافظت بها على استقرار عملها ضمن المعارف السابقة بفضل النقد المعرفي الذي لا يؤمن بتحيز المعارف، إنها سيرورة انتقالية جديدة للغة، تعمل فيها على وفق المنشط التبادلي؛ تبادل المعارف في سياق مفتوح.

إن اللغة في مجال الثورة الإدراكية لها الفضل الكبير في إرساء دعائم تأسيسية، وأرضية ابستمولوجية، توحد فيها المناهج الإدراكية والعقلية التي تنطلق من أسئلة الذهن واللغة. ولا ريب في أن نجد "مارك تيرنر" في مقاله الموسوم بـ"الدراسة الإدراكية للفن واللغة والأدب"، والذي ترجمته "رانية خلاف"، يوكل الفضل بطريقة علنية للمجال اللغوي وإسهاماته الذي أصّل لهذا التطور (تطور العلوم الإنسانية في مجال العلوم الإدراكية)، حيث يقول: «أريد أن أوجه الشكر لمؤسسة اللغة الحديثة لمساعدة هذا التطور من خلال تأسيس المجموعة النقاشية الجديدة في المناهج الإدراكية للأدب والتي كانت قد قدمت كفكرة في منتدى عقدته المؤسسة في سان فرانسيسكو 1999، وانطلقت بشكل رسمي في مؤتمر مؤسسة اللغة الحديثة في شيكاغو 2000، لقد كان عنوانه المناهج الإدراكية للخيال الأدبي»¹¹. وعلى إثر هذا التقدم للغة في جدليتها بالمعرفة الإدراكية فقد حققت إنجازات لا يمكن إغفالها سواء على المستوى التنظيري أو على المستوى الإجرائي.

يسعى النقد المعرفي إلى جعل اللغة الشعرية المتواجدة في النص الإبداعي مدركات معرفية، عن طريق إمطة النقاب الذي جسده الذات المبدعة في لعبة اللغة أو «جنسية الدال وذهنية المدلول»¹². إنه تلمص اللغة من هيمنة تبعات المشكلات اللغوية المألوفة، وتنظيم لصيغ وأبنية معرفية عقلانية تكشف عن المعنى الغائب. نجد الناقد المعرفي "محمد سالم سعد الله" يتحدث على حيوية النقد المعرفي في علاقته باللغة، مبرزاً الخلفية التي تأسست عليها اللغة في ظل هذا النقد، حيث يقول إن اللغة «لا تتشكل بفعل براءتها المشاعة ولا بفعل التنظيم الشكلي المحض، وإنما تتشكل بفعل سلطة معرفية تعمل على قيادة مسيرتها»¹³. إنها ولادة جديدة للغة حملت معها ميزة الحضور الفعلي في جميع المعارف الإدراكية، وأبرزت فاعلية العلوم الإنسانية في امتلاك لغة نموذجية تستطيع التأقلم مع كل معرفة تنتهي إليها.

أما الناقد "محمود خليف خضير الحياني" فقد خصص مبحثاً كاملاً عن الطبيعة المعرفية للنص الإبداعي، مبرزاً أن ماهية المعرفة في الفن لا تقوم على أساس منطقي يبحث عن الاستنتاج والبرهان والاستقصاء، وإنما تتجلى في الكشف عن الحقيقة التي تظهر ماهية الشيء، وأن اللغة في جدليتها مع المعرفة تكون مرتبتها ثانياً (والثانوية مصطلح بورسي يعني تجسد المجرد)، على اعتبار أن الفكرة تسبق اللغة في لاوعي وذهن المبدع قبل تحقيقها¹⁴، فيكون عمل النقد المعرفي هنا عملاً عكسياً، فينطلق من الكشف عما هو جمالي للوصول إلى ما هو معرفي.

ثانياً: النقد المعرفي والمنحى الاستعاري للغة

إن محاولة الانطلاق مما هو جمالي لاكتشاف ما هو معرفي يتجسد في استثمار معطيات الدرس اللساني والسيمايائية المعرفية وخصوصاً ما تعلق بتحويل مسار الاستعارة من كونها التمثيلي إلى بعدها المعرفي.

1- اللسانيات المعرفية والبعد الدينامي المعرفي للغة

إن الحديث عن اللسانيات المعرفية هو حديث عن منظومة معرفية خلقت التمايز والاختلاف عن اللسانيات العامة، وإن هذا التمايز تصنعه "اللغة" من قبل محتواها الذي تمثل في القدرات المعرفية التي جسدت مبدأ براغماتيا يفعل عمل العقل والذهن ضمن أطر اللسانيات، فاللغة لها القدرة الفائقة على التلاؤم مع أسس وقواعد اللسانيات، وتحويلها ضمن متطلبات الصياغة المعرفية.

إن الإنسان بطبعه كائن لغوي بامتياز، ذلك أن اللغة تصنع الفكر، وتسير الوقائع وتخلق التفاعل، فهي عنصر قوي في تجسيد التصورات، وأداة من أدوات فهم المعنى، «فكل فكر مصدره العقل، وبالتعبير يستطيع الإنسان تبليغ ما يدور في فكره بواسطة اللغة كأداة وظيفية تنقل المراد إلى ذهن الغير، وتكشف في الوقت نفسه عن الهواجس الدفينة المحيطة بالإنسان باعتباره مؤثراً ومؤثراً بوسطه الاجتماعي»¹⁵. وتبرز أيضاً نمطية ذاته المبدعة، لذا وجب القول إن اللغة هي من تصنع تحولات الفكر الإنساني في شتى مراحلها، باعتبارها إنجازاً لعمليات الإدراك الخارجي¹⁶، وهي من تصنع ميكانيزمات الظاهرة الأدبية أثناء المقاربات النصية عن طريق تفعيل الوعي، وهي من أعطت للمتلقين فرصة إدراك الحقائق. لذا يمكن القول – مع عبد العالي العامري – إنه إذا لم تكن مستعداً «للتعامل مع اللغة والذكاء والوعي والتفاعل الاجتماعي والثقافي فإنك لن تفهم المعنى»¹⁷. ومن هذه

المسلمة المعرفية أخذت اللسانيات المعرفية مبدأ ترويض اللغة على وفق نماذجها المعرفية، فأثارت تساؤلات تدور في فلك الملكة اللغوية مبدؤها كالاتي: كيف تتحول اللغة من وظيفتها العملية والتواصلية وصولاً لوظيفية إدراكية تجعل العقل أساساً للتفكير؟ وما هو الأثر الدينامي للغة أثناء تحولها المعرفي؟ وكيف يمكن للنقد المعرفي أن يستثمر ذلك في مقارنته للنصوص؟

شهد التفكير اللساني محطات معرفية كبرى، تم بموجها قولبة خصائص اللغة إلى نماذج ذهنية، تستطيع استيعاب الأفق الفكري للنص الإبداعي لبلوغ الحقيقة، فبدلاً من قوقعة اللسانيات ذات المتعلقات والصيغ النحوية والتركيبية، أصبح هناك انتقال للسانيات معرفية فتحت آفاق الدراسة لكل ما هو متعلق بالمعرفة، ويكفي أن نقول إن مصطلح المعرفة كفيل بالشمولية لكل الجوانب والمناحي؛ فاللسانيات المعرفية هي من أطرت لبوادر الحلقة التواصلية بين اللغة والفكر من منظور معرفي؛ «الفكر المفاهيمي الذي يرتبط ارتباطاً وثيقاً باللغة»¹⁸. وعلى هذا النحو، وعلى أساس مبدأ المقاربة النصية، فإن التزاوج بين اللغوي والعقلي في العلوم الإدراكية فعّلت اللسانيات المعرفية، ونظمت له مسارين: «المسار التمثيلي مسار تشومسكي في إطار البرادغيم الإدراكي، والمسار الإجرائي مسار الدلالات الإجرائية والذكاء الاصطناعي ثم القواعد النحوية الإدراكية»¹⁹. فالدلالات لم تعد تفهم في حيزها المغلق المتعلق بالتمثيلات التركيبية وحدودية قواعد النحو، بل أصبحت تفهم في سياقات معرفية مفتوحة تعبر حيناً عن الوسط الاجتماعي، وتتماثل حيناً آخر مع الفعل الثقافي، وتتكشف على مناح ورؤى مستقبلية، تملها ضرورات العصر،

لذلك أصبحت اللسانيات المعرفية «تعالج اللغة بوصفها قدرة ذهنية مركزية في محيط الإدراك وما يرتبط بها من علامات وترميز وتشفير وتعبير وتفكير، فتكون اللغة وفقاً لهذا التصور أداة لنقل المعلومة ومعالجتها بقصد التعبير عن المعنى وتوصيله»²⁰، فمراتب الظاهرة اللغوية، من منظور اللسانيات المعرفية، إنما تتخذ من نظام العقل وجودها، وحضورها، وفعاليتها، أثناء التعبير عن المراد على وفق مصطلحات المبدأ اللساني، لأن لكل علم وصناعة ألفاظه، وهذا كله إنما من أجل بلوغ الحقيقة.

ولكن، أية حقيقة؟ «حقيقة لها وزن معرفي تربط الفكر باللغة إذ هو يعلق العلم على أدواته الإبلاغية، كما أن لهذا القانون انعكاساً مباشراً على الرابطة العضوية المعقودة بين العقل البشري والمعرفة الكونية»²¹، ومن هنا أمكن القول إن اللغة لها قدرة التكيف وكذا التحول وتغيير مسار الاشتغال وفق كل علم تكون أدواته، وأيضاً الثورة الإدراكية فعلت فعلها في اللغة وجعلت منطق الذهن والعقل يكون غالباً أثناء المقاربة اللسانية.

وبذلك كانت اللسانيات المعرفية أرضية للرؤية النقدية للنقد المعرفي؛ فهو يستثمر المنجز المعرفي للسانيات المعرفية في حوسبة المعارف لإعادة اكتشاف المعرفة المنجزة في النصوص بعد أن تخلت عن بعدها الاستبدالي لصالح بعدها النظمي في الانجاز النصي، ويشغل على البعد الاستبدالي ويحوّله من الغياب النصي إلى الحضور المعرفي.

2- الاستعارة المعرفية وجدلية التخيلي والمعرفي:

اتخذت اللغة مع الاستعارة المعرفية مستويات مختلفة في التبليغ، وانتقلت بدورها من عمل المهيمن الجمالي التأثيري إلى عمل العقل والتفكير. وكما هو معروف فإن الاستعارة في أشواطها التكوينية ووصولاً إلى النقد المعاصر قد بلورت محطات مختلفة أثناء كشفها عن المعنى، فأصبحت اللغة استعارة كبرى للحياة كما يقول "أمبرتو إيكو"²²، بل أصبحت خالقة للعلاقات، تتناوب بين الفهم واللافهم، وبين التعامل والاتعامل، حتى صارت دليلاً يحتاج لاستراتيجية جديدة تتماشى مع الواقع والممكن والمحتمل.

ومع الثورة الإدراكية وما ضخته من مفاهيم عقلية استجوب على الاستعارة أن تتحول إلى استعارة معرفية أو مفهومية، تكون اللغة هي الأداة الأولى لعبور طريق التغيير، وكان ذلك مع "جونسون" و"لايكوف" في كتابهما "الاستعارة التي نحيا بها"²³، ويمكن أن نشير إلى مفهوم الاستعارة المعرفية، حتى ندرك أبعاد التحول للنسق اللغوي، «فهي وسيلة لتصوير شيء من خلال شيء آخر ووظيفتها الأولى الفهم»²⁴، وبذلك يكون التحول من البعد الجمالي التمثيلي في تشكيل اللغة الاستعارية إلى البعد اللغوي المعرفي في تشكيلها، فتصبح بالتالي حاملة للفكر، ومعبرة عن مفهوم، تحاول تقريبه عن طريق التمثيل، أي أن التمثيل لا يصبح غاية في حد ذاته، وإنما المعرفة هي الغاية.

إن موضوع الاستعارة في الجانب المعرفي سيأخذ مسارات مختلفة ومتعددة، لذا سنشير إلى الدور الذي أدته اللغة أثناء هذا التحول على اعتبار أن «اللغة البشرية مصوغة بشكل يجعل من هذه الصور الأداة الرئيسية لتوصيل مضمونها وتأثيرها بشكل مباشر»²⁵، وعلى منطلق التأثير نتساءل إذن عن جدلية العلاقة بين الجانب التأثيري الذي تصنعه اللغة وبين الجانب العقلي الذي يكون ضد هذا التأثير، فكيف تحوّلت اللغة من المسار الأول إلى المسار الثاني؟ أو كيف تم الانتقال من نسق لغوي سمنه التخيل إلى نسق لغوي بنيتة التفكير؟

إن الاشتغال اللغوي ضمن منطق التصور الاستعاري قد انبنى بطرائق مختلفة، تبنت مبدأ الإقناع تارة، ومبدأ التأثير تارة أخرى، ومبدأ إن أجمل الشعر أكذبه، إلى أن تحول هذا الاشتغال مع إدراك أن اللغة "بيت المفاهيم" في اعتقادنا وليست فقط "بيت الوجود" كما اعتقد "هايدغر". وكل مفهوم في الأصل هو استعارة وهذا ما جعل "جورج لايكوف" يحوّل هذه الدراسة من الاستعارة التصويرية إلى الاستعارة الإدراكية، إدراك كل ما يحيط بالواقع الخارجي، إنه تحول إلى بعد تجريبي بشري، ركيزته التفاعل، تعمل فيه اللغة على وفق سلّم الترميز، وهذا ما أشار إليه "لايكوف" حيث قال «اللغة ترمز طريقة تصورنا للعالم وتفاعلنا معه، وهذا يعني أن اللغة تتحدث عنا، وعن كيفية بنائنا لتصوراتنا للأشياء، فهي حامل نسقنا التصوري»²⁶، وما يلحظ في هذا القول أن اللغة هنا ستحرر من قيود الدلالة التصويرية، وتسير إلى دلالات تفسيرية قوامها الإدراك وعلاقتها بالسلوك البشري.

يقوم التصور النسقي الاستعاري في المعطى المعرفي على تفعيل دور اللغة في التجارب الحياتية، لتتجسد الروابط العلائقية بين سلوكياتنا وانفعالاتنا وبين الاستعارة المعرفية، إذ اللغة تؤدي الوسيط المعرفي لفهم أنطولوجية الإنسان نفسه، فهي كينونة تفاعلية مع كل ما يحيط بنا من معارف. وعلى هذا «فالاستعارة ليست مظهراً لغوياً صرفاً، بل تكون مظهراً ثقافياً عاماً تتأثر به اللغة كما تتأثر به سائر المظاهر الأخرى مثل السلوكيات

والأنشطة التي نباشرها»²⁷. إذن، هناك ثقافة، وتجربة حياتية، وإدراك عقلي يعمل على تصور الأشياء، إنه عمل ميدان الثورة الإدراكية الذي جسد هذا التحول؛ تحول اللغة في الاستعارة من النسق الزخرفي واللفظي إلى نسق عقلي يقوم بدور التفكير.

تضطلع اللغة بوظائف معرفية وعاطفية وجمالية، من أجل خلق وظيفة تفاعلية، تُغطي مفهومات الإنسان، وتُنظم وتُلون إدراكنا وقدراتنا العقلية، إنها "اللغة التكييفية" التي لها القدرة على الانسجام والتحول من طابع إلى طابع لتلائم كل علم تنتهي إليه، إنها اللغة في الاستعارة المعرفية التي كافتت منظور "ريتشاردز" في الحدس والإدراك وأضافت مع المبدأ الإدراكي سمة العقلية.

لقد أثبتت اللغة جدارة كبيرة في هذا الزخم المعرفي الذي جعل معارف كثيرة تكون بديلة على النماذج المعرفية السابقة، فكانت اللغة: وسيلة، وأداة، وغاية، وهدفاً، وموضوعاً. ومثلت مع الاستعارة المعرفية مرحلة انتقالية عارضت بها الاستعارة الاستبدالية والاستعارة التشبيهية. لقد فارقت كل «انحراف طفيلي يصيب اللغة العادية واللغة العلمية»²⁸، لتجعل من الاستعارة نظرية تفاعلية، تنظر إلى اللغة الاستعارية بوصفها «وسائل مفهومية للإدراك، أو لخلق الواقع، وليست مجرد وصف له»²⁹، فهذا المسلك الجوهرى في فهم الواقع بإمكانه فتح آفاق استشرافية لوضع آليات تحليلية جديدة للغة.

كذلك هناك إشارة مهمة لموضع اللغة في المنحى الاستعاري المعرفي، وهو أن النظرية الجشطالتيية قد تم استدعاؤها وتوظيفها برؤية جديدة، على وفق بعد تجريبي يؤمن بقدرة «الفرد على التفاعل جسدياً وبيئياً وثقافياً مع محيطه في تشييد المعرفة وإنشاء اللغة»³⁰، ومن ثم فإن كل تواصل للغة من منظور الاستعارة المعرفية، يكون منافياً للعقل، لا يتم الأخذ به، ولا التسليم بحقيقته.

تبرز القدرة التحولية للغة في تخليها عن وظيفتها اللغوية المحضة، بما تعلقته به من حلية جمالية، تخيلية وزخرفية، كان هدفها الوهم والخداع، والبعد عن الحقيقة والمعرفة العلمية. وعليه فقد تحولت إلى وظيفة أساسية في الاستعارة هدفها الإفهام، وخلق التوافق بين التجربة والإحساس. لقد اتخذت «اللغة الاستعارية جانبا تصوريا فارقت به المفاهيم المتداولة، التي كانت تعتبرها مجرد انزياحات تضيي جانباً جمالياً عن طريق عنصر التخيل، لتتحصل على بعد مفاهيمي جعلها تندرج في البعد السلوكي الذي يؤثر في العقل والإدراك»³¹. وعلى ما تم ذكره واستبيانه في المنهجية الجديدة للمقاربة اللغوية في المنحى الاستعاري ذات البعد المعرفي، فإن ما يمكن توضيحه أن "اللغة" ستستثمر البعد الجمالي في كونها استعارية، وتتحدى بسمة العقلية في كونها معرفية، وتبرز وظيفتها الإدراكية أثناء العملية التواصلية، عندما يكون الهدف حقيقياً وتجريبياً، وبذلك يرتسم التعالق الجوهرى بين الاستعارة المعرفية والنقد المعرفي، الذي يتخذ من البعد المعرفي للاستعارة مؤشراً معرفياً، يتأسس عليه التحليل النصي لاكتشاف الجوانب المعرفية في النصوص استناداً إلى ما هو لغوي.

وعليه فإن التشكيل الإدراكي للغة يرسم فضاءات نصية ذات محمولات فكرية ومعرفية، يسعى النقد المعرفي إلى إعادة اكتشاف خارطتها الذهنية باستثمار معطيات اللسانيات المعرفية والاستعارة المعرفية.

الخاتمة

لقد جسدت اللغة في علاقتها بالمعارف الإدراكية نموذجا ابستميا، عن طريق التحول والتكيف الذي أحدثته هذه الأخيرة على وفق منطق عقلي ذهني يروم اكتشاف كل ما هو متعلق بالواقع الممكن والمحتمل، لتصبح بصمة ومنجزا فارقا مع الثورة الإدراكية ونماذجها المعرفية، والتي تجسدت في العديد من المسارات المعرفية المعاصرة، والتي يعد النقد المعرفي من أهم مخرجاتها.

وبناء على ذلك يتوصل البحث وهو يناقش جدلية اللغة في بعدها الإدراكي مع المسار الشمولي الذي يتبناه النقد المعرفي إلى النتائج الآتية:

1- كان للثورة الإدراكية تأثير بارز في تحول مسار العلوم الإنسانية، يتأسس على كيفية اشتغال اللغة كونه براديغما كونيا، ويتم استثماره في شتى المجالات المعرفية، إذ اللغة "بيت المفاهيم"، و"مستودع المعرفة".

2- مثلت اللغة مع اللسانيات المعرفية مرحلة انتقالية تم بموجها التحول من إلى اللسانيات العامة، إلى اللسانيات المعرفية والتي سيتم استثمارها في تشكيل الوعي النقدي للنقد المعرفي.

3- شكلت اللغة مع النقد المعرفي رؤية جديدة، رؤية زاوجت فيها بين الأدبية والمعرفية.

4- تصنع اللغة وجودها وحيويتها مع النقد المعرفي عن طريق كشفها عن ميكانيزمات التفكير في التعبير الأدبي.

5- تجاوزت اللغة مع اللسانيات المعرفية، من حيث اشتغالها البراغماتي، نموذج الأخذ بالمتعلقات والصيغ التركيبية نحو نموذج تجريبي إدراكي، يفهم في ضوء السياقات المعرفية.

6- تجسد عمل اللغة مع الاستعارة المعرفية في بعد تفاعلي ناجم عن السلوك البشري في علاقته بالمحيط الخارجي، لتبتعد عن وظيفتها التصويرية والتخييلية والزخرافية إلى وظيفة إفهامية معرفية.

7- كان لنظرية الأطر دور بارز في جعل اللغة تفهم على وفق أطر معرفية، وذلك مجال اشتغال النقد المعرفي في الكشف عن النواحي المعرفية من خلال ما أدبي.

8- يؤسس النقد المعرفي رؤيته التحليلية للنصوص الأدبية على استثمار معطيات اللسانيات المعرفية والاستعارة المعرفية، بمنظور لا يلغي ما هو جمالي في النص، ولا يكون أسيرا له، وبذلك يحدث التناغم بين ما جمالي وما هو معرفي في النص الأدبي.

ويبقى البحث في جدلية العلاقة بين النقد المعرفي والتشكيل الإدراكي للغة مجالاً حيويًا وخصبا للدراسة، تتعلق به العديد من القضايا اللغوية والمعرفية؛ من قبيل: البلاغة المعرفية، والشعرية المعرفية وهي نوافذ بحثية تتطلب الكشف والدراسة.

- ¹- عبد العالي العامري: اللغة ونظرية الذهن مبادئ ذهنية ومعرفية، مجلة اللسانيات العربية، العدد السابع، يناير 2018، ص 7.
- ²- كاترين فوكس: هل توجد لسانيات إدراكية، ترجمة لطفي السيد منصور، مجلة فصول في النقد الأدبي، العدد 100، المجلد 4/25، صيف 2018، ص 24.
- ³- وحيدة صاحب حسن: النقد الأدبي المعرفي المعاصر، الأصول، المرجعيات، المفاهيم، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، مجلد 18، العدد 3، سنة 2018، ص 83.
- ⁴- تمثلت الإسهامات القليلة في بضع مباحث: نذكر منها: النقد الأدبي المعرفي المعاصر للناقدة وحيدة صاحب حسن، النقد الأدبي المعرفي المعاصر لمحمود خليف خضير الحياني، النقد المعرفي والنقد الثقافي الائتلاف والاختلاف لمحمد علاقي.
- ⁵- محمود خليف خضر الحياني: النقد المعرفي في النص الأدبي، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، ط 1، سنة 2019، ص 14.
- ⁶- وحيدة صاحب حسن: النقد الأدبي المعرفي المعاصر، الأصول، المرجعيات، المفاهيم، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، ص 94.
- ⁷- مارك تيرنز: الدراسة الإدراكية في اللغة والأدب والفن ترجمة رانية خلاف، مجلة فصول ص 139.
- ⁸- المرجع نفسه، ص 140.
- ⁹- مفهوم التأتيريشير إلى أن اللغة تخلق أطرا معرفية تتحكم بتفاعل الإنسان مع الواقع حوله.
- ¹⁰- وحيدة صاحب حسن: النقد الأدبي المعرفي المعاصر، الأصول المرجعيات، ص 95.
- ¹¹- مارك تيرنز: الدراسة الإدراكية للغة والأدب والفن، ترجمة رانية خلاف، مجلة فصول، ص 141.
- ¹²- محمد سالم سعد الله: مدخل إلى نظرية النقد المعرفي المعاصر، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 2013، الأردن اربد، ص 71.
- ¹³- محمد سالم سعد الله: مدخل إلى نظرية النقد المعرفي المعاصر، ص 71.
- ¹⁴- ينظر: محمود خليف خضير الحياني، النقد المعرفي للنص الأدبي، ص 94، 99.
- ¹⁵- رانية قدرى، محمد عروس: التأسيس الإدراكي للنقد المعرفي، مجلة مساقات، العدد الثالث، المجلد 2، جويلية 2020، ص 301.
- ¹⁶- ينظر، عبد السلام المسدي: اللسانيات وأسسها المعرفية، الدار التونسية للنشر، دون طبعة، تونس، اوت 1986، ص 28.
- ¹⁷- عبد العالي العامري: اللغة ونظرية الذهن مبادئ ذهنية ومعرفية، ص 13.
- ¹⁸- كاترين فوكس: هل توجد لسانيات ادراكية، ترجمة لطفي السيد المنصور، مجلة فصول في النقد الأدبي، ص 24.
- ¹⁹- المرجع نفسه، ص 28
- ²⁰- وحيدة صاحب حسن: النقد الأدبي المعرفي المعاصر، ص 93.
- ²¹- عبد السلام المسدي: اللسانيات وأسسها المعرفية، ص 98.
- ²²- ينظر، أمبرتو إيكو: السيميائية وفلسفة اللغة، ترجمة أحمد الصمعي، مركز دراسات الوحدة العربية للنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولونوفمبر 2005.
- ²³- جورج لايكوف ومارك جونسون: الاستعارات التي نحيا بها، ترجمة عبد المجيد جحفة، دار توبقال للنشر، ط 1، الدار البيضاء، 1996.
- ²⁴- عبد العزيز الحويدق: نظريات الاستعارة في البلاغة الغربية، دار كنوز للمعرفة والطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2015م، ص 267.
- ²⁵- عيد محمد شبايك: الاستعارة في الدرس المعاصر، وجهات نظر عربية وغربية، دار حراء للنشر، الطبعة الأولى، 2005، القاهرة، ص 20.
- ²⁶- جورج لايكوف، مارك جونسون: الفلسفة في الجسد، ترجمة وتقديم عبد المجيد جحفة، دار الكتاب الجديد المتحدة، الطبعة الأولى مارس، 2016، ص 12.
- ²⁷- جورج لايكوف، ومارك جونسون: الاستعارات التي نحيا بها، ص 13.
- ²⁸- عيد محمد شبايك: الاستعارة في الدرس المعاصر، وجهات نظر عربية وغربية، ص 190
- ²⁹- المرجع نفسه، ص 190
- ³⁰- المرجع نفسه، ص 261
- ³¹- رانية قدرى، محمد عروس: التأسيس الإدراكي للنقد المعرفي، مجلة مساقات، ص 305.

قائمة المصادر والمراجع:

المراجع:

- 1- عبد السلام المسدي: اللسانيات وأسسها المعرفية، الدار التونسية للنشر، دون طبعة، تونس، اوت 1986.
- 2- عبد العزيز الحويدق: نظريات الاستعارة في البلاغة الغربية، دار كنوز للمعرفة والطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2015م.
- 3- عيد محمد شبايك: الاستعارة في الدرس المعاصر، وجهات نظر عربية وغربية، دار حراء للنشر، الطبعة الأولى، 2005، القاهرة.
- 4- جورج لايكوف، مارك جونسون: الفلسفة في الجسد، ترجمة وتقديم عبد المجيد جحفة، دار الكتاب الجديد المتحدة، الطبعة الأولى مارس، 2016
- 5- إبراهيم بن منصور التركي: دراسات في البلاغة الإدراكية، مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر، الطبعة الأولى، 2019.
- 6- محمود خليف خضر الحياياني: النقد المعرفي في النص الأدبي، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، سنة 2019.
- 7- جورج لايكوف، ومارك جونسن: الاستعارة التي نحيا بها، ترجمة عبد المجيد جحفة، دار توبقال للنشر، ط1، الدار البيضاء، 1996.
- 8- محمد سالم سعد الله: مدخل إلى نظرية النقد المعرفي المعاصر، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 2013، الأردن اريد.
- 9- جورج لايكوف ومارك جونسون: الاستعارة التي نحيا بها، ترجمة عبد الحميد جحفة، دار توبقال للنشر، الطبعة الثانية، 2009.
- 10- أمبرتو إيكو: السيميائية وفلسفة اللغة، ترجمة أحمد الصمعي، مركز دراسات الوحدة العربية للنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولونوفمبر 2005.

المجلات:

- 11- وحيدة صاحب حسن: النقد الأدبي المعرفي المعاصر، الأصول، المرجعيات، المفاهيم، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، مجلد18، العدد3، سنة2018.
- 12- رانية قدرية، محمد عروس: التأسيس الإدراكي للنقد المعرفي، مجلة مساقات، العدد الثالث، المجلد2، جويلية2020.
- 13- كاترين فوكس: هل توجد لسانيات ادراكية، ترجمة لطفي السيد المنصور، مجلة فصول في النقد الأدبي، العدد 100، المجلد 4/25، صيف 2018.
- 14- محمد سالم سعد الله: تحديث الدرس البلاغي عند الناقلين محمد عبد المطلب ومحمد العمري، مجلة التربية والعلم، المجلد 20، العدد1، 2013.
- 15- ماركترنر: الدراسة الإدراكية للغة والأدب والفن، ترجمة رانية خلاف، مجلة فصول، العدد 100، المجلد 4/25، صيف 2018.
- 16- عبد العالي العامري: اللغة ونظرية الذهن مبادئ ذهنية ومعرفية، مجلة اللسانيات العربية، العدد السابع، يناير 2018.